

«حدٌ التغريدة» في مملكة ابن سلمان: عندما تستحيل السجون قبوراً



سجل ولـي العهد السعودي، محمد بن سلمان، رقمـاً قياسياً عالمياً لأطول عقوبة سجن على تغريدة على «تويتر»، حين حكمت محكمة سعودية بالسجن 34 عاماً تليها 34 عاماً منع سفر، على المواطنـة سلمـي الشهـاب العـائـدة من بـرـيطـانيا، على خـلـفـية مـطـالـبـتها بـالـحرـبة «لـكـلـ» مـظـلـومـ». ويـسـتـقـوـيـ اـبـنـ سـلـمـانـ،ـ فـيـ ذـلـكـ،ـ بـجـرـعـةـ الـثـقةـ الـزـائـدـةـ الـتـيـ حـصـلـ عـلـيـهاـ إـثـرـ سـلـسلـةـ «ـالـمـبـاـيـعـاتـ»ـ الـتـيـ نـالـهـاـ مـنـ قـادـةـ دـوـلـ كـانـواـ فـيـ الأـسـاسـ يـرـيدـونـ التـخـلـّمـ مـنـهـ،ـ قـبـلـ أـنـ يـجـبـرـهـمـ «ـسـلاحـ»ـ النـفـطـ عـلـىـ التـرـاجـعـ

التهافت الغربي لاسترضاء ولـي العهد السعودي، محمد بن سلمان، فتح له الباب واسعاً للعودة إلى ممارسة القمع بأشدّ صوره. وللمقارنة فقط، عندما لوـحـ الرئيس الأميركي، جـوـ باـيدـنـ،ـ بـالـعـصـاـ فيـ وجـهـ اـبـنـ سـلـمـانـ،ـ إـثـرـ فـوزـ الـأـوـلـ فيـ اـنـتـخـابـاتـ الرـئـاسـةـ عـامـ 2020ـ،ـ اـضـطـرـ حـاـكـمـ السـعـودـيـةـ الفـعـلـيـ لـتـقـديـمـ تـناـزـلـاتـ فيـ ماـ تـسـمـيـهـ واـشـنـطـنـ «ـمـلـفـ»ـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ»ـ،ـ حـيـثـ وـجـهـ بـإـطـلاقـ سـرـاجـ النـاشـطـاتـ لـجـينـ الـهـذـلـولـ وـسـمـرـ بدـوـيـ وـنـسـيـمـةـ السـادـةـ وـغـيـرـهـنـ»ـ،ـ وـلـوـ مـعـ منـعـ سـفـرـ.ـ إـلاـ أـنـهـ حـيـنـماـ اـضـطـرـ قـادـةـ الـغـربـ،ـ وـمـنـهـمـ بـاـيدـنـ،ـ لـاستـرضـاءـ اـبـنـ سـلـمـانـ،ـ طـمـعاـ فيـ خـفـصـ أـسـعـارـ النـفـطـ،ـ قـضـتـ مـحـكـمـةـ سـعـودـيـةـ بـسـجـنـ السـعـودـيـةـ سـلـمـيـ الشـهـابـ 34ـ عـامـ،ـ تـلـيـهاـ 34ـ عـامـ أـخـرىـ مـنـعـ سـفـرـ،ـ عـقاـبـاـ لـهـاـ عـلـىـ مجرـدـ تـغـريـدةـ،ـ وـاتـبـاعـهـاـ بـعـضـ الـمـعـارـضـينـ عـلـىـ «ـتـوـبـرـ»ـ.ـ وـإـذـاـ أـمـضـتـ الشـهـابـ الـبـالـغـةـ مـنـ الـعـمـرـ 33ـ عـامـ هـاـتـيـنـ الـعـقـوبـتـيـنـ،ـ فـيـعـنـيـ ذـلـكـ أـنـهـ لـنـ تـسـتـطـيـعـ الخـروـجـ مـنـ الـمـمـلـكـةـ مـجـداـ،ـ إـلاـ عـنـدـمـاـ يـصـبـحـ عمرـهـاـ 101ـ سـنـةـ،ـ إـذـاـ أـمـدـاـ 1ـ فيـ عمرـهـاـ.ـ تـغـوـلـ اـبـنـ سـلـمـانـ الـذـيـ لـاـ يـتـورـعـ عـنـ دـفـنـ أـمـ لـطـفـلـيـنـ حـيـةـ لأنـهـاـ كـتـبـتـ فيـ تـغـريـدةـ مـثـبـتـةـ عـلـىـ حـسـاـبـهـاـ

على «تويتر»: «الحرية لمعتقلِي الرأي ولكلّ مظلوم في العالم»، لا يضاهياها سوى تمرّس الغرب في رفع الشعارات المراوغة، التي تهدف بالضبط إلى التغطية على الانتهاكات نفسها التي تتناولها تلك الشعارات. ولو لا المصالح المتضاربة في الغرب، والتي تُبرزها الحملات الإعلامية، لما كان تمّ تناول مثل هذه القضايا. فعلى سبيل المثال، أثارت قناة «فوكس نيوز» اليمينية قضية الشهاب، فقط لتُظهر نفاق إدارة بайдن الذي جاء إلى الحكم بوعْدٍ جعل السعودية دولة «منبوذة»، ومقاطعة ابن سلمان ومحاسبيه على انتهاكات حقوق الإنسان، قبل أن ينقلب على نفسه انقلاباً كاماً. وعندما سُئل الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية، نيد برايس، عن القضية نفسها، لم يجرؤ على توجيه انتقاد خاص إلى السعودية، وتَجَنَّب الإجابة بشكل مباشر، قائلاً إن «حرية التعبير يجب أن لا تُجرَم في أي بلد». لكنّ السناتور الأمريكية، دايان فينستين، هاجمت المملكة، وقالت إنها «منزعجة جدًا من الحكم»، عاكسةً نظرية الرأي العام الأمريكي إلى السعودية، حيث عبر ثمانينيَّة من كلّ عشرة أشخاص، في استطلاع حديث للرأي، عن نظرية سلبية إلى حقوق الإنسان في المملكة.

التهمة التي سيقت ضدّ الشهاب، هي «الإخلال بالنظام العام والإساءة إلى أمن المجتمع واستقرار الدولة، ودعم أولئك الذين ارتكبوا جرائم بحسب قانون مكافحة الإرهاب وتمويله». تهمةٌ تُثير الكثير من الأسئلة حول ما قد يكون رجلات النظام، الذين صارت لديهم شهرة عالمية في أساليب التعذيب والاغتصاب، من أمثال سعود القحطاني، قد فعلوه بتلك المرأة خلال 265 يوماً من التحقيق. وكانت سلمى اعتُقلت لدى عودتها من بريطانيا في كانون الأول 2020 لقضاء إجازة، بناءً على وشاية على تطبيق «كلنا أمن» - وهو موقع رسمي سعودي للتبلاغات الأمنية -، قبل إحالتها إلى قضاء ابن سلمان الذي ازداد قسوةً بعد الحملات المتكرّرة للأخير عليه، وآخرها اعتقال سبعة من القضاة الكبار ونقلهم إلى أماكن مجهولة خلال الأشهر الماضية. وحُكم على الشهاب بالسجن ستة أعوام في المحكمة عام 2021، لكنها عندما استأنفت الحُكم، وجدت محكمة الاستئناف أن «العقوبة غير كافية» وزادتها إلى 34 عاماً في السجن، في ما يمثل، بحسب منظّمات لحقوق الإنسان، أطول عقوبة سجن لناشط سلمي على الإطلاق. ويعني ذلك عملياً أن الشهاب ستقضى الجزء الأكبر من بقيّة عمرها خلف القضبان، على أمر لا يُفترض أن يُعاوَب عليه المرء من الأساس، وهذه حالة فريدة في العالم، لم تصل إليها إلا المملكة التي تدّعي إقامة حدود في العقوبات.

ويؤشر الحُكم الجديد إلى أن ابن سلمان صار يشعر بأنه مطلّق اليد في قمع معارضيه، من دون أن يخشى تبعاتِ مثل وقف بيع أسلحة له، بعدما تمكّن من «تطويع» قادة الدول الغربية، الذين يستخدمون سلاح حقوق الإنسان لابتزاز الأنظمة وانتزاع المكاسب منها. ولكنّ القرار يدلّل، في الوقت نفسه، على أنوليّ العهد يتملاّكه الخوف من معارضيه داخل الأسرة وخارجها، بحيث لم يَعُد يثق بأقرب المقرّبين إليه و منهم إخوته، وصولاً إلى أبيه الذي يُقال إنه عزله فعلياً عن دائرة القرار، وأبقى له على

مشاركـات شـكلـية فـي بـعـض الـاستـقـبـالـات. وـعـلـى رـغـم نـجـاح اـبـن سـلـمـان فـي إـحـكـام سـيـطـرـتـه دـاخـلـياً بـقوـة الـبـطـشـ، وـأـنـتـزـاع اـعـتـرـاف عـالـمـي بـه بـقوـة الـنـفـطـ، إـلا أـنـ أـحـكـاماً نـافـرـة مـنـ هـذـا النـوـعـ لا يـسـتـطـعـ العـالـمـ هـضـمـهـ، خـاصـةـ أـنـ الـمـعـنـيـّةـ بـالـحـكـمـ هـذـهـ الـمـرـّةـ، اـمـرـأـةـ وـأمـ لـطـفـلـيـنـ، وـطالـبـةـ دـكـتـورـاهـ فـي جـامـعـةـ لـيدـزـ الـبـرـيطـانـيـةـ، الـتـيـ أـعـرـبـتـ عـنـ قـلـقـهـاـ عـلـىـ مـصـيرـ طـالـبـتـهاـ، مـتـسـائـلـةـ عـمـّـاـ إـنـ كـانـتـ تـسـتـطـعـ فـعـلـ شـيـءـ لـمـسـاعـدـتـهـاـ، فـيـ مـاـ يـعـكـسـ حـالـةـ الـعـجـزـ لـدـيـهـاـ، وـخـاصـةـ أـنـ حـكـومـةـ لـندـنـ تـبـدوـ مـتـواـطـئـةـ مـعـ اـبـنـ سـلـمـانـ، وـهـيـ الـتـيـ يـُـعـتـبـرـ رـئـيـسـهـاـ الـمـغـادـرـ قـرـيبـاًـ، بـورـيسـ جـونـسـونـ، أـحـدـ عـرـّـابـيـ إـعـادـةـ وـلـيـ الـعـهـدـ إـلـىـ السـاحـةـ الـعـالـمـيـةـ، فـيـ أـعـقـابـ الـعـزـلـةـ الـتـيـ عـانـىـ مـنـهـاـ الـأـخـيـرـ إـثـرـ اـغـتـيـالـ جـمـالـ خـاشـقـجيـ. كـمـاـ أـنـ جـونـسـونـ مـنـ الـقـلـائـلـ الـذـيـنـ لـمـ يـوـقـفـوـاـ بـيعـ الـأـسـلـحـةـ لـلـسـعـودـيـةـ عـلـىـ رـغـمـ مـعـارـضـةـ الرـأـيـ الـعـامـ الـبـرـيطـانـيـ لـذـلـكـ باـعـتـبـارـ أـنـ الـأـسـلـحـةـ الـمـبـاعـةـ تـُـسـتـخـدـمـ فـيـ الـمـجـازـرـ ضـدـ الـمـدـنـيـيـنـ الـأـبـرـيـاءـ فـيـ الـيـمـنــ، قـبـلـ أـنـ تـعـودـ وـاـشـنـطـنـ نـفـسـهـاـ إـلـىـ بـيعـ الـأـسـلـحـةـ لـلـمـمـلـكـةـ أـخـيـرـاًـ. وـجـونـسـونـ هـذـاـ زـارـ الـسـعـودـيـةـ بـعـدـ أـيـامـ قـلـيلـةـ عـلـىـ إـعـدـامـ 81ـ شـخـصـاًـ فـيـ يـوـمـ وـاحـدـ فـيـ آـذـارـ الـمـاضـيـ، وـبـرـرـ فـعـلـتـهـ بـالـحـاجـةـ إـلـىـ تـخـفيـضـ أـسـعـارـ الـنـفـطـ، وـبـالـتـأـكـيدـ لـأـنـتـظـرـنـ "ـ أـحـدـ مـنـهـ حـتـىـ مـجـرـّـدـ ذـكـرـ اـسـمـ تـلـكـ الـمـرـأـةـ الـتـيـ تـعـيـشـ مـعـ أـسـرـتـهـاـ فـيـ بـلـادـهـ.